السنة السابعة عشرة العدد 1، 1441هـ/2020م

مجلة نصف سنوية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

في هذا العدد:

- **النظر المقاصدي عند المالكية وأثره في ترشيد فقه الأسرة**
عبد العزيز وصفي
- **الحجاج في القرآن واستراتيجيات الإقناع: قصة نوح عليه السلام أنموذجا**
ناعوس بن يحي
- **التجديد المنهجي في علم مصطلح الحديث وآفاق تحريره**
حكيمة أحمد حفيظي
- **اندماج وسائل الاتصال واستخدامه في تعليم وتعلم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها**
أحمد صافي الدّين
- **جهود الكياهي الحاج أحمد سنوسي السوكابومي في بيان حقيقة الماء المطلق تجاه رؤساء بيزانترين**
إستخاري
- **الفلسفية الرومانسية في قصيدة حديث المقبرة للشاعر أبي القاسم الشابي**
أحمدي عثمان ونيلي آيو أفريلياني
- **الإعلام الجديد في مواجهة تحديات الإرهاب الإلكتروني**
لالو سوفريادي بن مجيب

المراسلات

توجه جميع المراسلات وطلبات الاشتراك إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

- هاتف الكلية : (+62) 21 740 1925, Ext. 1905
- هاتف رئيس التحرير : (+62) 81298544377
- هاتف المساعد الإداري : (+62) 85732693000
- موقع المجلة : http://journal.uinjkt.ac.id/index.php/zahra/index
- البريد الإلكتروني : journal.alzahra.fdi@uinjkt.ac.id
- المجلة في الانستقرام : https://www.instagram.com/alzahra_journal/
- المجلة في الفيس بوك : https://www.facebook.com/Al-Zahra-Journal-for-Islamic-and-Arabic-Studies-111661133592579

الرقم الدولي المعياري: (ISSN: 1412-226x)

هيئة التحرير

رئيس التحرير
فاتح الندى

هيئة التحرير
محمد شيرازي دمياطي
حمكا حسن
أحمدي عثمان
يولي ياسين
غلمان الوسط
محمد شريف هداية الله

هيئة التحرير الدولي
أماني لوبيس — إندونيسيا
سيد عقيل حسين المنور — إندونيسيا
خزيمة توحيد ينجو — إندونيسيا
عبدالقادر ريادي — إندونيسيا
كمال الدين نور الدين — ماليزيا
وان كمال موجاني — ماليزيا
وليد أحمد صالح — كندا
أميمة أبو بكر — مصر
علي معيوف عبد العزيز — السعودية
مريم أيت أحمد — المغرب
ديدوح عمر — الجزائر
سلوى العوا — بريطانيا
إبراهيم محمد زين — قطر
حميد سليمي — كندا
محمد الحسيني — مصر
مالك حسين شعبان حسن — السعودية
عبد الرحمن كاسدي — إندونيسيا
حسن بهارون — إندونيسيا

المساعد الإداري
واسكيتو ويبووو

المحتويات

العنوان

- **النظر المقاصدي عند المالكية وأثره في ترشيد فقه الأسرة**
  عبد العزيز وصفي 1
- **الحجاج في القرآن واستراتيجيات الإقناع: قصة نوح عليه السلام أنموذجا**
  ناعوس بن يحيى 59
- **التجديد المنهجي في علم مصطلح الحديث وآفاق تحريره**
  حكيمة أحمد حفيظي 93
- **اندماج وسائل الاتصال واستخدامه في تعليم وتعلم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها**
  أحمد محمد أحمد آدم صافي الدين 131
- **جهود الكياهي الحاج أحمد سنوسي السوكابومي في بيان حقيقة الماء المطلق تجاه رؤساء بيزانترين**
  إستخاري 159
- **الفلسفية الرومانسية في قصيدة حديث المقبرة للشاعر أبي القاسم الشابي**
  أحمدي عثمان، نيلي آيو أفريلياني 195
- **الإعلام الجديد في مواجهة تحديات الإرهاب الإلكتروني**
  لالو سوفريادي بن مجيب 235

Available online at Al-Zahra's Website: http://journal.uinjkt.ac.id/index.php/zahra
Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies, 17(1), 2020, 195-234

DOI: http://dx.doi.org/10.15408/zr.v17i1.15034

الفلسفية الرومانسية في قصيدة حديث المقبرة للشاعر أبي القاسم الشابي

أحمدي عثمان
جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا – إندونيسيا
ahmadi.usman@uinjkt.ac.id

نيلي آيو أفريلياني *
معهد دار السنة الدولي لعلوم الحديث جاكرتا – إندونيسيا
nellyaprilianie11@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلي دراسة وتحليل قصيدة أبي القاسم الشابي التي تتسم بالأفكار الفلسفية الرومانسية المتمثلة في فكرة الموت. وقد عاش الشابي في قصر عمره بسبب مرض القلب. وهذا المرض هو العنصر الأساسي من عناصر المأساة التي عاش فيها الشابي وأثر في شعره الذي امتلأ بالحديث عن قلبه الجريح الذي يهدده الموت كل لحظة. ويستخدم هذا البحث المنهج الوصفي في تعريف شخصية أبي القاسم الشابي وإسهامه في مجال الأدب. ويستخدم المنهج التحليلي في دراسة وتحليل قصيدة حديث المقبرة وفلسفيتها الرومانسية. أما طريقة كتابته فهي الطريقة المكتبية بجمع المصادر والمراجع والدوريات والدراسات العلمية التي تتعلق بهذا البحث والاطلاع عليها وقراءتها. ومن نتائج هذا البحث: أن شعر الشابي يتميز بالأفكار الفلسفية الرومانسية. وقد تناول هذا البحث بدراسة قصيدة حديث المقبرة وتحليلها من خلال تقسيمها إلى سبعة مقاطع. ولكل بيت في هذه المقاطع تساؤلات الشابي عن الخلود والفناء لقربه من الموت. وهذه التساؤلات تدل على فلسفية شعر الشابي وهو يسير مع عقله ليجمع الإجابات عن التساؤلات التي أثارها. وقد عبر الشابي هذه الفلسفية بعبارات رومانسية مفعمة بالعناصر البلاغية.

الكلمات المفتاحية: *الفلسفية الرومانسية ؛ قصيدة حديث المقبرة ؛ أبو القاسم الشابي.*

* المؤلف المراسل

Al-Zahra: Journal for Islamic and Arabic Studies, p-ISSN: 1412-226X, e-ISSN: 2502-8871
This is an open access article under CC-BY-NC license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

Romantic Philosophy in The Poem of The "Hadith al-Maqbarah" by Abū al-Qāsim al-Shābī

Ahmadi Usman
UIN Syarif Hidayatullah Jakarta – Indonesia
ahmadi.usman@uinjkt.ac.id

Nelly Ayu Apriliani
Darus-Sunnah International Institute for Hadith Sciences – Indonesia
nellyaprilianie11@gmail.com

Abstract

The purpose of this research is to study and analyze the poem of Abu al-Qasim al-Shabi, which is characterized by romantic philosophical thoughts of death. Shabi lived in a short time due to heart disease. This disease is the main factor of his suffering and it influenced his poetry containing the story of his wounded heart, which is threatened by death every moment.

This study uses the descriptive method in defining the personality of Abu al-Qasim al-Shabi and his contribution to the field of literature. Also, The analytical method is used to study and interpret the poem and its romantic philosophy. On the other hand, the author applies a literature study in conducting writing by collecting sources, references, journals, and academic research relating to this study.

Among the results of this research: Al-Shabi's poetry is distinguished by romantic philosophical ideas. moreover, this article divided this poem into seven parts. In each of these verses, al-Shabi's questions about immortality and annihilation revealed. These questions indicate the philosophical poetry of al-Shabi as he thinks to find the answers for questions raised. Further, al-Shabi showed this philosophy in romantic expression with rhetorical elements.

Key Word: *Romantic Philosophy; The Poem of The "Hadith al-Maqbarah"; Abū al-Qāsim al-Shābī.*

المقدمة

انحدرت الآداب الأوروبية منذ بداية عصر النهضة خلال مسارات فنية متميزة اصطلح على تسميتها بالمذاهب الأدبية وهي اتجاهات فنية تعبيرية تتأثر بالاتجاهات الفكرية والأدبية والنقدية والبيانية لكل عصر، وهي تتغير بتغير أوضاع المجتمع وطابع الحياة.[١]

فكان المذهب الكلاسيكي أقدم مذهب نشأ في أوروبا، وهذا الاتجاه تلبية للظروف الفكرية التي عاش في ظلالها الأدب الأوروبي حيث كان للنزعة العقلية سلطان كبير على الإبداع الأدبي، لأن الأدب الكلاسيكي يمتاز بقوة الروح الأدبية وسمو التفكير وروعة الصياغة والعاطفة والإغراء في الصنعة والمغالاة في تحطيم العقل. ومن ثم اتسم أدبه بالوضوح والجنوح إلى جحد الأفكار والاهتمام بجمال الشكل واتباع الأصول القديمة.[٢]

وخلافا لذلك نجد الرومانسية ظاهرة تاريخية ملموسة تخص الفن والأدب في مرحلة زمنية محددة ومنظورة تماما، نجد أن الرومنتيك يتمثل لدى الفرد في مزاجه العاطفي الروحي المحدد وفي طموحه إلى مثال ما يتميز عن الظروف الواقعية المحيطة به في نزوعه الدائم نحو الجديد وفي رفضه سكونية الوجود اليومي.[٣]

ونجد المذهب الرومانسي ظهر كتحول وتطور في أدب وفلسفة كل من العصور الوسطى والعصر الحديث. رغم أن الفيلسوف والشاعر ينظران إلى الحياة ويفسران الحقائق من زاويتين مختلفتين، فالفيلسوف ينظر ويلاحظ ويتأمل ويحلل ويركب ويحاول وضع قوانين مظاهر الحياة، بينما ينظر الشاعر ويلاحظ وقد يتأمل، ولكنه عند ذلك يسير عن تأثره بما لاحظ أو نظر، فهو إذن يسير في طريق الفيلسوف ولكنه يفارقه من حيث إن الشاعر يلتفت إلى عواطفه التي حركتها المشاهد، بينما يسير الفيلسوف مع عقله لكي يجمع الإجابات عن الأسئلة التي سألها فيركب منها قانوناً موحداً يفسر فيه حدوث الظواهر واختلافها وأسباب تغيرها.[٤]

---

[١] عبد العزيز عتيق، *في النقد الأدبي* (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م)، ص. ٢٤٧.
[٢] عبد العزيز عتيق، *في النقد الأدبي*، ص. ٢٤٤.
[٣] نوفل نيوف، *نظرية الرومانسية في الغرب* (دمشق: التلوين لتأليف الترجمة والنشر، ٢٠٠٧م)، ص. ١٢.
[٤] رياض شنته جبر، *الشعر العربي والفلسفة* (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)، ص. ١٣.

وتمثل في دعوات الفلاسفة واهتماماتها الكبيرة بالفلسفة العاطفية، ورد الاعتبار (Rehabilitation) إلى النفس البشرية. ومن أهم هؤلاء الفلاسفة "لوك" (Locke) الإنجليزي، و"كوندورسي" (Condorcet) الفرنسي، إذ قرر أثناء حديثهم عن العواطف "أن النفس ليست سلبية بل عاملة، وأساس عملها منحصراً في الرغبة التي يثيرها القلق، وبها تتابع عواطفها وتحدد وتتكاثر ومصدر الرغبة العاطفة.[٥]

إضافة إلي جهود كل من الفيلسوف الفرنسي "تيدورو" (Theodore) والفيلسوف الألماني "كانت" (Kant)، إذ ثار هذا الفيلسوفان على فلسفة "أفلاطون" وهي نظرية المثل. وفرقوا بين الشيئ الجميل النافع أي طبيعة الجمال وحقيقته. ولا ننسى الدور الكبير الذي لعبه كل من الفيلسوفان الألمانيان "فريديريك نيتشه" (Friedrich Nietzsche) و"شوبنهاور" (Schopenhauer) في إرساء دعائم الرومانتيكية ودفع عجلتها إلى الأمام بفلسفتها التشاؤمية الحزينة.[٦]

والرومانسية عندما وصلت إلى العالم العربي كان عهد ازدهارها قد انقضى في البلاد الأوروبية، لكن العالم العربي كان يمر بمرحلة من تاريخه تماثل في ظروفها المأساوية المتدهورة العصر الرومانسي في أوروبا. ومن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الرومانسية في العالم الأوروبي هي الحروب المدمرة التي عمت أوروبا في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع عشر. والرومانسية لم تقتصر على أوروبا فحسب، بل تعدتها إلى سائر أنحاء المعمورة ولاسيما العالم العربي مثل تونس التي وقع فيها الحملة الفرنسية.[٧]

---

[٥] محفوظ كحوال، *المذاهب الأدبية (الكلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية،السوريالية)* (قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص. ٦٥.

[٦] محفوظ كحوال، *المذاهب الأدبية (الكلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية،السوريالية)*، ص٦٥.

[٧] لقد سقطت تونس في يد الفرنسيين سنة ١٨٨١، أي: قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر بعام واحد. وكانت المدارس المختلفة تضم ١٢،٥ % من أبناء تونس، و ٨٧،٥ من أبناء فرنسا حسب الإحصاء الذي أورده عمر فروخ في كتابه عن الشابي. رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة* (القاهرة: أطلس للنشلر والإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٤)، ص. ٩.

وعلى هذا كانت مسيرة الشعر التونسي خلال القرن العشرين ظهر فيها عالم من علماء الشعر استطاع رغم قصر عمره أن يصور المذهب الرومانسي أحسن تصوير وأن يسهم في نشره إلى حد بعيد. وهذا العالم هو أبو القاسم الشابي الذي بات أحد أقطاب الرومانسية العربية. ولا شك أن الشابي من أحد أبرز شعراء عصر النهضة الذين غنوا إرادة الشعب ودعوا إلى يقظة العرب من كبوتها التاريخية. ومن أشعاره المشهورة التي وردت في أواخر البيت في النشيد الوطني التونسي وهي:

إِذَا الشَّعْبُ يَوْماً أَرَادَ الْحَيَاةَ ** فَلَا بُدَا أَنْ يَسْتَجِيْبَ الْقَدَرْ

وَلاَ بُـدَا لِلّـيْلِ أَنْ يَنْجَـلـي ** وَلاَ بُدَّ لِلْقَـيْدِ أَنْ يَنْكَـسِرْ[٨]

علماً بأن المذهب الرومانسي يعتمد على أسس فلسفية كما ذكر في السابق، فالشابي يعتبر من شعراء العرب الذين حاولوا أن يصلوا إلى المستوى الفلسفي الرفيع ويتخلصوا من مفهوم الشعر الجميل بألفاظه وأنغامه، حيث يندفع هذا النوع من الشعراء إلى الحديث في قصائدهم عن موضوعات تافهة. وإنه شاعر فلسفة شاملة عميقة، وإن كانت ظروفه السيئة لم تتح له أن يصل بهذه الفلسفة إلى النضج الكامل فإنه بلا شك قد سار في الطريق الصحيح للشعر الرفيع، ووصل إلى أعلى درجة يمكن أن يصل إليها شاعر عظيم في مثل سنه وظروفه الصحية والاجتماعية والثقافية، وهي ظروف أقل ما يقال عنها: إنها كانت ظروفاً عسيرة.[٩]

وعلى هذا النحو نجد عند الشابي في بعض قصائده الأفكار الفلسفية وهو يكتب عن الموت كثيرا ويعبر عنها تعبيرا فنيا عميقا. فليس الموت عند الشابي في قصيدته هو موت شخص فحسب أو هو فناء يتسلل إلى ظاهرة من ظواهر الطبيعة.[١٠] وهذا، سيقوم البحث بتناول هذه الأفكار الفلسفية التي تتميز بها بعض قصائد الشابي.[١١]

---

[٨] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة* (تونس: منشورات دار الشباب، ٢٠١١ هـ)، ص٢٦٠.

[٩] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص٦٨.

[١٠] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص:٦٥.

[١١] وقد استفاد البحث من الدارسين السابقين حول شعر الشابي، ومنهم على سبيل المثال:

١) أحمد فيصل، الذي قدم بحثه بعنوان: "روح التحرير في قصيدة شاعر الخضراء أبي القاسم الشابي"، للحصول على الدرجة الجامعية الأولى من كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة شريف هداية الله

أبو القاسم الشابي:

في أواخر القرن التاسع عشر، بدأ الغرب يستقر بسياسته ومصالحه وجيوشه وأعلامه في كثير من أجزاء الوطن العربي، وقد كانت الجزائر هي أسبق بلد عربي إلى السقوط في يد الاستعمار الغربي، فهي لم تسقط في أواخر القرن كغيرها، وإنما سقطت في أوائله حيث استقرت السيطرة الفرنسية فيها سنة ١٨٣٠هـ.[١٢]

أما تونس فقد سقطت في يد الفرنسيين سنة ١٨٨١هـ، أي قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر بعام واحد. وشاعر تونسي عاش في زمن كانت فيه بلاد المغرب العربي تعاني أثقال الاحتلال الأوروبي وتغوص في بحور الظلم والجهل والتخلف على كل صعيد،[١٣] وهو أبو القاسم الشابي التونسي.

ولد أبو القاسم الشابي بقرية الشابية، وهي من ضواحي توزر التونيسية[١٤] في ٣ من صفر ١٣٢٧هـ الموافق لـ ١٩٠٩م، وينتسب إلى أسرة محبة للعلم، عريفة في علوم الدين، إذ كان أبوه الشيخ محمد بن أبي

الإسلامية الحكومية جاكرتا، السنة الجامعية ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨ م. وقد ألقى الضوء على شعر الشابي الذي يتعلق بالحياة والوطنية والقومية والإنسانية كفاحا ونضالا ذد المستعمرين.

٢) مريم بنت لحرش، التي قدمت بحثها بعنوان: "استراتيجية التحول والرؤيا الشعرية قي قصيدة حديث المقبرة لأبي القاسم الشابي"، لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية من جامعة محمد خيضر بسكرة الجمهورية الجزائيرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية: ١٤٣٦هـ – ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م – ٢٠١٦م. وقد ألقت الضوء على شعر الشابي الذي يهتم بالكشف عن عالم مجهول، عالم لا مرئي، يتسم بسمات القلق والثورة والإحساس بالاغتراب، بكافة تحولاته ظلا ملازما لشعره.

٣) بلعربي فوزية، التي قدمت بحثها بعنوان: "أثر المذهب الرومانسي الغربي في الشعر العربي الحديث أبو القاسم الشابي أنموذجا"، لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الأدبية المقارنة، بكلية الآداب والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس الجمهورية الجزائيرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية ٢٠١٦/٢٠١٧م. وقد ألقت الضوء على شعر الشابي الذي يمثل نموذجا للإبداع الذي تحرر من سيطرة العقل وأطلق العنان للعاطفة والخيال، فأصبح شعره مجالا يعرض فيه جماليات وروائع غاياته المنشودة من تعبير عن كل ما هو جميل وتصوير خاص للحياة.

[١٢] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٧.

[١٣] محمد علي بيضون، *ديوان أبي القاسم الشابي* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ/٢٠٠٥م)، ص. ٣.

[١٤] تعتبر توزر من أكبر بلاد الجريد في جنوب تونس وتعرف بأشجار النخيل.

القاسم الشابي قاضيا شرعيا تلقى علومه بالأزهر الشريف، ودرس على يدي الشيخ محمد عبده،[١٥] وأكمل تعليمه بجامعة الزيتونة بتونس لمدة سنتين، حصل على إجازة التطويع وهي إجازة نهاية الدراسة بجامع الزيتونة آنئذ. ثم عين قاضيا شرعيا في عام ١٩١٠م، وكان أبو القاسم حينئذ ابن عام واحد، فتنقل مع والده القاضي الشرعي في كثير من البلاد التونيسية. وكان والده يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل.[١٦]

ومما يذكر أنه لم يأتي لزيارة هذه البلدة توزر إلا مرتين حيث قضى نحوا من ثلاثة أشهر، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية أتى فيها بعد ذلك زائراً. ومن الجدير بالذكر أن جولة هذه الأسرة استغرقت عشرين سنة في بلاد تونسية مختلفة، فمن قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأي الجبل فزغوان. وهذه البلاد تفصل بينها المسافات الطوال جغرافياً، كما أنها تتمايز بمناختها وعادتها ولهجات أبنائها أيضا. فزغوان مثلا منطقة جبلية، ورأس الجبل غنية بالباستين. وقابس ذات مناخ حار بينها تتساقط الثلوج في تالة، والناس في قابس يعتمدون على صيد الأسماك، بينها تعتبر الزراعة والفلاحة في مجاز الباب المورد الرئيسي للسكان هناك، وتبعاً لهذا كله تختلف الطبائع والعادات.[١٧]

هذه مراحل حياة أبي القاسم الشابي القصيرة، لكنها حياة عامرة بالتجارب والمشاهد والتأثر، ساهمت في تدفق شاعريته، وتألق نجمه، وسيلان براعته. فقد أفاد ما يفيده كل عابر مستيقظ من تلك الحياة، إذا ما استقر بمكان لبرهة من الزمن، وجازه إلى مكان آخر.[١٨]

---

[١٥] وهو من مفكر الإصلاح ولد محمد عبده بقرية "شنرا" بمديرية الغربية سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م، وانتقلت به أمه إلى بلدة أبيه "عبده خير الله" محلة نصر بمديرية البحيرة بعد ولادته بقليل. وكان أبوه ذا مكانة ملحوظة في قريته يمتاز بقوة الجسم. وكان أبوه أكرهه على الاستمرار في طلب العلم فهرب إلى أحد أخوال أبيه "الشيخ درويش" و من شخصيته التي أثرت على عقل محمد عبده وفي نفسه وفي خلقه وحددت له أهدفه فى الحياة ولا يذهبن بك الظن وأنه من علماء التربية الأفذاذ، فلم يكن إلا شيخا صوفيا سليم العقيدة، نير البصيرة، على حظ قليل من العلم. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، القاهرة: دار الفكر، د.ت.، ط٨، ج١، ص٣٥٣.

[١٦] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي* (القاهرة: مكتبة الأدب، ٢٠١٤م)، ص. ٤.

[١٧] محمد علي بيضون، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٥.

[١٨] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٥.

تلقى أبو القاسم دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى. ثم أرسله إلى الكتاب في بلدة قابس. وفي الثانية عشرة من عمره قدم أبو القاسم الشابي إلى العصمة (تونس) سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م للدراسة بجامع الزيتونة، حيث تهيأت له الفرصة الحقيقية من أجل التحصيل العلمي وخصوصاً العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخلط المثقفين، وأهل العلم، ولكنه كان لايخفى تبرمه وتضجّره من إقامته في مكان لاتلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية، إلا أنه اطلع على آداب الغرب من خلال ما كانت تنشره الدور العربية من تلك الآداب والحضارات.

وفي سنة ١٩٢٧م وفي شهر يونيو نال الشابي شهادة التطويع حيث أنهى دروسه في جامع الزيتونة. ولكنه أدرك أن الشهادة لا تؤمن له كسب المعاش الذي يرضى طموحه ويرافق ميوله، وذلك لأن آراءه لم تكن أن تتفق مع آراء مشايخ الزيتونة، وفي العام التالي ١٩٢٨م انتسب إلى المدرسة التونسية للحقوق، ونال إجازتها سنة ١٩٣٠م.[١٩]

إن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريق ما قرأه من ترجمات ويقال عن الأدب الغربي، لذلك تفتحت قرائح الشابي الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره. وفي ذلك أن قصيدة "يا حب" التي نظمها سنة ١٩٣٢م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة كل اثنين سنة ١٩٢٦م/١٩٤٢هـ. وظهر شعره مطبوعا ضمن كتاب "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر" سنة ١٣٤٤/١٩٢٧هـ. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قدماء الصادقية[٢٠] عنوانها: "الخيال الشعري عند العرب"، كانت مادة الكتاب الذي حما العنوان نفسه فيما بعد.

---

[١٩] مجيد طراد، *شعرائنا ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله* (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ط٢، ص. ١٦.

[٢٠] المدرسة الصادقية أسسها خير الدين التونسي في سنة ١٨٧٥م، وتعد أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد التونسية جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. وقد تخرج من الصادقية جل القيادات والشخصيات السياسية التونسية هامة كالرئيس الحبيب بورقيبة والوزير أحمد ابن صالح والكاتب محمود

وكان يساهم في شعره بتلك الفترة المساندة حركات التجديد وبعث حركة المسلمين، ووقف الشابي إلى جانب المصلح الاجتماعي التونسي "الطاهر الحداد"[٢١] في دعوته إلى تحرير المرأة.[٢٢] ومما يجدر ذكره دعوته إلى التجديد في الأدب من خلال "الخيال الشعري عند العرب". وبعد، جاوز النطاق التونسي إلى جماعة أبولو[٢٣] عند قيامها في مصر في عام ١٩٣٢م، فانتشر وذاع شعره في العالم العربي أجمع.[٢٤]

أصيب أبو القاسم الشابي بداء تضخم القلب في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره. وقد نهاه الأطباء عن بذل كل جهد فكري أو جسدي، ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعراً ونثراً مما زاد من خطورة وضعه.

يعتبر زواج الشابي على رغبة والده، وبعد استنشار الطبيب،[٢٥] أقدم على الزواج سنة ١٩٢٩م، قبل وفاة والده بقليل. ولكن حالته بعد الزواج لم تتحسن، بل على العكس ازدادت سوءا خصوصاً وأنه كان يُرهق نفسه أكثر مما يطيق قلبه المتعب، فتكاثرت بعد سنة ١٩٣٠م النوبات القلبية الحادة، ومع أن عدة

المسعودي ورئيس المجلس التأسيسي مصطفى بن جعفر والأستاذة خديجة بنت الشيخ العيد ماجد وغيرهم. وهذه المدرسة التي وضعت برامج العصرية ، متفتحة على العالم وطرق تدريس ثرية متنوعة وحديثة ضمت إلى جانب اللغة العربية اللغات الأجنبية كالتركية وإيطالية والفرنسية والعلوم الصحيحة كالرياضيات. حمادي الساحلي، *صفحات من تاريخ تونس*، تحقيق: الجيلاني بن الحاج يحيى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م)، ص. ٣١١.

[٢١] هو من مواليد ٤ ديسمبر ١٨٩٩ وتوفي ٧ ديسمبر ١٩٣٥. وهو مفكر نقابي سياسي تونسي. وقام بحملة لتطور المجتمع التونسي في مطلع القرن العشرين. ومن المعروف أنه خاض نشاطا من أجل حقوق العمال النقابية التونسية ، وتحرير المرأة التونسية ومنع تعدد الزوجات في العالم المسلم، وهو صديق للشاعر أبي القاسم الشابي والنقابي محمد علي الحامي. وله الكتاب المشهور الذي يبحث عن حركة تحرير المرأة المسمى بـ"امرأتنا في الشريعة والمجتمع".

[٢٢] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٤١.

[٢٣] هي من إحدى المدارس الأدبية الهامة في الأدب العربي الحديث.ظهرت في العقد الرابع من القر العشرين بعد أن واجه الديوانيون الشعراء المحافظين في معركة أدبية بينهما. واللفظ "أبوللو" مأخوذ من أبوللون إله النور والفن والجمال عند اليونان، واتجاه هذه المدرسة هو الاتجاه الرومانسي.

[٢٤] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٦.

[٢٥] هو الدكتور محمد الماطري النطاسي. محمد علي بيضون، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٧.

أطباء أشرفوا على معالجته، ومنه الطبيب الفرنسي "كالو" فلم يسفر كل ذلك عن أي فائدة تُذكر، علما أنه أخذ بنصائحهم بعد ذلك في قضاء الوقت في المصايف والمنتجعات سنة ١٩٣٢م، وكان رزق بولده البكر. وفي سنة ١٩٣٣م، اضطر بعد اشتداد المرض أن يلازم الفراش ويمتنع عن الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى مكان يدعى "حامة توزر" حيث يوجد فيها عين ماء حار يستشفى بها من بعض الأمراض.

اشتد عليه المرض سنة ١٩٣٤م، فتوجه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في ٢٦ أغطس حتي توفي سحر يوم ٩ تشرين الأول – أكتوبر ١٩٣٤م، ونقل جسمانه إلى بلدة توزر حيث دفن فيها.[٢٦]

ديوان "أغاني الحياة" وقصيدة "حديث المقبرة":

إن قصيدة حديث المقبرة أحد قصيدة من القصائد التي جمعها الشاعر في ديوانه المسمى بـ "أغاني الحياة". والديوان هو مجموعة الصحف. وقال سيبويه: إنما صحت الواو في الديوان لأنها وقعت بعد الياء. وقال الجوهري في الديوان: إن أصله "دِوَّانٌ" فقلب أحد الواوين ياء لأنه يجمع على الدواوين.[٢٧] والديوان مجتمع الصحف الذي يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية. وأول من وضعه عمر رضي الله عنه.[٢٨]

ونستخلص من هذا التعريف المعجمي أن الديوان مجموعة من أشعار أبي القاسم الشابي التي شرعت في صيف عام ١٩٣٤م المسمى بـ "أغاني الحياة".

إن تسمية الديوان بهذا الاسم يعود إلى كونه يتضمن من الناحية البلاغية صورة سمعية مجردة (image auditive abstraite) مكونة من مسموع محسوس (الأغاني) ومصدر أصوات مجردة (الحياة). توجد في أغاني الحياة حسب الإحصاء ٩١ نوعا من أنواع المسموعات.[٢٩] وورد لفظ "غناء" أكثر مما ورد في الديوان.

---

[٢٦] انظر محمد علي بيضون، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٧.

[٢٧] ابن منظور، *لسان العرب* (الرياض: دار العالم الكتب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٩، ص٣٣-٣٤.

[٢٨] الطاهر أحمد الزاوي، *ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة* (الرياض: دار عالم الكتب، د.ت)، ج٢، ص٣٣٧.

[٢٩] ملحق الرسالة التي أعدتها نيلي أيو أفريلياني: "الفلسفية الرومانسية في قصيدة حديث المقبرة للشاعر أبي القاسم الشابي التونسي؛ دراسة تحليلية بلاغية"، إشراف: الدكتور آحمدي عثمان، كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، ٢٠١٩، ص٨٤.

علما بأن المسموع الأكثر تواترا في الديوان هو "الغناء"، وهو بالإضافة إلى احتلاله المرتبة الأولى في قائمة المسموعات قد تردد ٣٢ مرة أكثر من المسموع الثاني الذي يليه في التواتر وهو "النشيد". كما يتضح أن المسموعات الثلاثة الأولى في الترتيب متقاربة جدا من حيث المعنى بل تكاد مترادفة (غناء – نشيد - تغريد) وهي تشكّل وحدها أكبر نسبة من المسموعات في الديوان تبلغ حوالي ٣٥ % من العدد الإجمالي للمسموعات فيه، وهو ما يجعلنا نحس بوجود صلة بينها وبين عنوان المجموعة "أغاني الحياة".[٣٠]

ومعرفة هذه التسمية مهمة لأن العنوان هو أول ما يستوقف القارئ. فالعنوان هو المفتاح الذهبي إلى شفرة التشكيل أو الإشارة الأولى التي يرسلها المبدع إلى المتلقى.[٣١]

وأصبح العنوان أحد الأجزاء الرئيسية التي لا تنفك عن الشعر الحديث. ووظف الشابي موضوعات الموت في بعض قصائده، مثل: "في ظل وادى الموت"، "زوبعة الظلام"، "نشيد الجبّار"، "الجنة الضائعة"،[٣٢] و يعود هذا إلى الأسباب الشخصية التي تدفع الشابي في ألوان قصيدته لما كان يعانيه من الألم والشقاء في الحياة. وتجلى ذلك بوجه خاص في قصيدته "حديث المقبرة" التي كانت تدور حول حوار تساؤلي بين الشاعر وروح الفيلسوف في جدوى الحياة والموت.

ويتكون عنوان القصيدة من مركب إضافي أو باعتبار آخر من ثنائي البنية، يتكون من اسمين: "حديث" و"المقبرة". وتعتمد العلاقة بين أجزائه على المفارقة، وهذه علامة تدل كل بنية منها على معنى معين. فـ "حديث" هو عملية تواصلية متكلما ومستمعا. وقد ورد في لسان العرب بأنه: ما يحدث به المحدث تحديثا،

---

[٣٠] محمد صالح بن عمر، *أبو القاسم الشابي صوتا استثنائيا*، (تونس: دار إشراق للنشر، ٢٠١٠م)، ص. ٤٣-٤٥.

[٣١] فوزي عيسى، *تجليات الشعرية قراءة في الشعر المعاصر*، (مصر: منشأة المعارف بالإسكندارية، ١٩٩٧م)، ص. ٦٩.

[٣٢] وفي هذه القصيدة يتحدث عن الموت بمعنى عميق من معانيه. فليس الموت في هذه القصيدة هو موت شخص فحسب، أو هنو فناء يتسلل إلى ظاهرة من ظواهر الطبيعة، بل معناه العميق الحقيقي هو أن تصبح الحياة فارغة من المعنى، أن تصبح بلا دلالة معنية ولا غابة معينة، وعندمت تمشى الحياة بلا غايةويتأمل الإنسان الحياة فيجدها هوة فارغة صامتة لاتدل على شيئ. رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٦٥.

وقد حدثه الحديث وحدثه به... فمصدر حدّث إنما هو التحديث، فأما الحديث فليس بمصدر. وقوله تعالى "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ". أي: بلغ ما أرسلت به، وحدّث بالنبوة التي أتاك الله وهي أجل النعم.[٣٣]

أما "المقبرة" فهي مكان يدفن فيه الإنسان بعد موته. ويلاحظ أن هناك تناقض بارز واضح، فالحديث دلالة على الحياة والاستمرار، أما المقبرة فهي دلالة على الموت والسكون والفناء. وعنوان حديث المقبرة قائم على نسيج من العلاقات الدلالية المتنافرة والمتباعدة في اللغة، إذ كيف للمقبرة أن تتحدث؟ فمعنى المقبرة هو مكان يدفن فيه الإنسان بعد فنائه. وفي الحديث: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقبرة"، وهي موضع دفن الموتى. وتضم باؤها وتفتح. وإنما نهى عنها لاختلاط ترابها بصديد الموتى ونجاساتهم. والحديث: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر." أي: لا تجعلوها لكم كالمقابر لا تصلون فيها، لأن العبد إذا مات وصار في قبره لم يصلّ، ويشهد له قوله فيه: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا"، وقيل معناه : ولاتجعلوها كالمقابر التي لاتجوز الصلاة فيها.

وربط الحياة بالموت لكون الشاعر في حالة الحزن والأسى فطرح التساؤلات التي كانت تؤرق فكره، والمعاناة التى عرفتها حياة الشابي القصيرة من وفاة والده وحرمان من الحرية، ثم فقدان حبيبته مزقت فؤاده المعلول الذي حكم عليه القدر بملازمة المرض حتى وفاته، فعاشت روح الشاعر في سجن مظلمة.

في صيف ١٩٣٤م شرع الشابي في جميع ديوانه الذي أسماه "أغاني الحياة"، لكن المنية باغتته وحالت دون تحقيق ما هدف إليه. ويبدو أن الشاعر أشرف شخصيا على اختيار الأشعار التي رضي عن يحتويها ديوانه. وقد تولى أخوه محمد الأمين الشابي طبع الديوان بعد وفاة الشاعر. وما يلفت النظر أن الشابي كان على شيئ من النضج جعله ينجز ديوانه في مدى ثمانى سنوات أو عشر على الأكثر، وهو على صغر سنه شاعر مكثر، إذ قيس بأمثاله من الشعراء المعاصرين، حتى أولئك الذين هم أكبر منه سنا.[٣٤]

[٣٣] ابن منظور، *لسان العرب*، ١٩٩٠، ط١، ج٢، ص. ١٣٣.

[٣٤] مجيد طراد، *ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ط٢، ص. ٩.

تم جمع قصائد هذا الديوان بعد الاطّلاع على الديوان الذي تركه الشابي وأعنى به أصل ديوانه الذى كان يعتزم طباعته في مصر قبل أن تعاجله المنية، والذي صدر عن الدار التونسية (دار الكتب الشرقية) بتونس طبعة عام ٤٢٠ هـ(٢٠٠١م)، وتم مضاهاة هاتين الطبعتين بطبعة الديوان الصادرة عن هيئة قصور الثقافة بمصر في مارس ٢٠٠٢م العدد: (٥١) آفاق عربية.

وخلاصة القول: إن عدد القصائد في متن الديوان الصادر عن دار الكتب التونسية وعن هيئة قصور الثقافة احدى وتسعون قصيدة ومقطعاً من بيتين أو ثلاثة. وضمّ البيتين أو الثلاثة تحت عنوان واحد في هذه الطبعة على النحو التالى:

١) تونس الجميلة: ضمّ إليها بيتان كان عنوانها "من وراء الظلام".
٢) تأملات: في الحياة، وفي سر النهوض، وفي حديث الشيوخ، وفي قوله: خلِّه للموت. جمعت كلها تحت هذا العنوان
٣) للتاريخ ومتاعب العظمة: وهو عنوان جامع لهذين العنوانين
٤) الناس وهيكل الأيام: وهما مقطعان موجودان بالأصل إلا أن المقطع الثاني لم يختر له الشاعر عنواناً فأسميناه "هيكل الأيام" لبدء البيت الأول من هذا المقطع به.

ثم استنزلت القصائد أو المقاطع الست التي ضُمَّت إلى هذه العناوين وهي موجودة في متن الديوان الأصلي بعنوان : سر النهوض، وحديث الشيوخ، وخلِّه للموت، ومن وراء الظلام، ومتاعب العظمة، وهيكل الأيام. فأصبح عدد القصائد في أصل الديوان خمسا وثمانين قصيدة. ثم أضيف لها ثماني قصائد وردت بطبعة دار المعارف ببيروت وهي: جمال الحياة - يا حماة الدين - الغزال الفاتن- النجوى - الصيحة - فكرة الفنان - للتاريخ - وقبضة من ضباب.

وبعدها أضيف ثماني قصائد أخرى وردت في طبعة هيئة قصور الثقافة نقلا عن طبعة البابطين[٣٥] أوردتا في الملحق وهي: كهرباء الغرام – الفتنة الساحرة – إيّاك – لولا الخطوب – والحق عند الناس – في

[٣٥] وهي معجم للشعراء العرب المعاصرين. ويذكر أن الطبعة الأولى من معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين صدرت عام ١٩٥٥م، وضُمَّت ١٦٤٠ شاعرا، تلتها الطبعة الثانية صدرت عام ٢٠٠٢م وضُمَّت ١٩٤٦

سكون الليل – دموع الألم – إلى البلبل والأديب. فهذه ستّ عشرة قصيدة التى بالمتن يصبح عدد قصائد هذا الديوان مائة قصيدة وقصيدة.[٣٦]

وبالنسبة إلى المرجع الذي اعتمد عليه البحث هو أغاني الحياة لمؤسسة "دار الشباب للطباعة والنشر والتوزيع". وهذه الطبعة مرتبة قصائده حسب تاريخها.

شعر الشابي وأغراضه:

إن شعر الشابي يرتكز على خصائصه اللفظية على ما أشاعته المدرسة الرمزية آنذاك، خاصة على كتابات جبران خليل جبران وغيره من كتاب الغرب. قال زين الدين السنوسي في معرض كلامه عن شعر صديقه الشابي: "المكانة الأولى في الشعر (عنده) لمفعول رنة الألفاظ وامتزاجها امتزاجا غامضا، هو منبع ما في الشعر من جمال وتأثير عميق وصور جذابة حتى لتجد الصورة المرئية تندمج مع اللحن المسموع وانتضم إليه انضمام النظير للنظير". فالغاب والضباب والراعي النافخ في نايه والثلج كلها أمور لم يعرفها الشابي معرفة عميقة، ومع ذلك كانت أكثر الألفاظ دورانا في شعره. وتتجلى رمزية الشاعر في مواقع متعددة من شعره.[٣٧]

ومن شخصية الشابي نجد شاعرا في شخصية المتأسى الذي يذكر الماضى بحسرة، والذي يتمنى رجوع أيام الصبي الخوالى ذات النعيم البالي، ونجد شاعرا بعد أن أثخنته الجراح، وذاق ما لم يذقه غيره من آلام الحياة، يناجى أمسه الوضيئ، باكيا جماله ووضاءته في قصيدته "إنما أبكيك يا للحب[٣٨]"، فيقول:

لستُ يا أمسِيَ أبكيك ** لـــمجدٍ أو لــجاه

شاعرا، بينما صدرت الطبعة الثالثة عام ٢٠١٤م، وضُمّت ٢٥١٤ شاعرا. الشمال بريس، مؤسسة البابطين تعتزم إصدار الطبعة الرابعة من معجم الشعراء العرب المعاصرين، http://www.achamalpress.com/archives/58597، التعليق في ٢٨ أغسطس ٢٠١٩م، الساعة: ١٢,٢٠.

[٣٦] أحمد محمد عبد الهادي، *ديوان أبي القاسم الشابي* (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٤م)، ط٢، ص١٠- ١١.

[٣٧] مجيد طراد، *ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله*، ص. ١٦.

[٣٨] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص٢٦٠.

سلبتْه مِنِّيَ الدنيـا ** وبزَّتْنـــي رِداه[٣٩]

إن طريقة الشابي في النظم تقوم على أسس ومنطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعانى، وسهولة الألفاظ. فالمعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة ليّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتى مشعّة، تتداخل من خلالها المحسوسات مما يقرّب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة وبالمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية رشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخّى الشاعر أن يقدم معانيه عبرها، وهي موسيقي انسابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتطير به حيناً وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفعالات والتحلل من كل قيد. لذلك نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل،[٤٠]

[٣٩] كتب هذا الشعر في ٨ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ/٢١ سبتمبر ١٩٣١م. أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ١٨٥.

[٤٠] أصل تفاعيله:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

محمود مصطفى، *أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية*، تح: سعيد محمد اللحام، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص. ٦٩.

والمتقارب،[٤١] ومجزوء الكامل،[٤٢] والمنسرح،[٤٣] والخفيف،[٤٤] وكلها أوزان تخدم أغراض الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره في التعبير عن موضوعاته.[٤٥]

أما لغة الشاعر فهي لغة سليمة وصاحبها صحيح التعبير وقوي الديباجة، ومع إجادته للعربية الفصحى فإنه قد زانها بتجديد رائع في الشكل والمضمون، وهي سمة عرفت بها جماعة أبوللو في العصر الحديث. وكذلك شعراء المهجر الذين تأثر ببعضهم، إلا أن التجديد قد جعل بعض الشعراء يكثرون من القوافي الساكنة، والتسكين جائز في القافية إذا كانت نكرةً مرفوعةً أو مجرورةً، لكنها لا تستساغ. وقليلا مانجد مثالا على ذلك في شعر الشابي. فمن النادر قولُه في قصيدة "قبضة من ضباب"[٤٦] على النحو التالي:

وَمَنِ ارْتَوَى فِي هَذه الدُّنْيَا تَسَنَّمَهَا خَطِيبْ؟
أولا فقدْ رَكِبَتْ مِنَ الأَيَّام مَرْكَبَهَا العَصِيبْ؟

---

[٤١] أصل تفاعليه:
فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن
محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (تح: سعيد محمد اللحام)، ص٨٨.

[٤٢] أصل تفاعيل البحر الكامل:
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متافعلن متفاعلن متفاعلن
محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (تح: سعيد محمد اللحام)، ص٥٢.

[٤٣] أصل تفاعيله:
مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن
محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (تح: سعيد محمد اللحام)، ص٧٧.

[٤٤] أصل تفاعيله:
فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن
محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (تح: سعيد محمد اللحام)، ص٧٩.

[٤٥] محمد علي بيضون، *ديوان أبي القاسم الشابي* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ)، ص. ٩.

[٤٦] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٧٥.

ولمحة عبارة أخرى أن الشابي يكثر من إيراد كلمة الحياة، ولا غبار عليه في ذلك إلا أنه كثيراً ما يوردها قافية ساكنة، والتاء المقفلة كما نعلم إذا سكنت نطقناها هاءً، لكنه ينطقها كالتاء المفتوحة، والأمثلة على ذلك كثيرة. مثل: قوله في قصيدة "إلى الموت"[٤٧]:

فما الدمع إلاّ شراب الدهور ** وما الحزن إلا غذاءُ الحياةْ

إلى الموت فالموتُ مهدٌ وثيرٌ ** تنام بأحضانه الكائناتْ

وفي قصيدته إلى "قلبي التائه"[٤٨] التي كان مطلعها:

مالآفاقك يا قلـ ** ـبي سوداً حالكاتْ

ولقد كانت صبا ** ح الأمس بين النسماتْ[٤٩]

الفلسفية الرومانسية

إن الشابي شاعر وجداني يندرج شعره في إطار المذهب الرومانسي حيث سعى الشاعر إلى تأكيد ذاته الشخصية في زمن كانت البيئة السياسيَّة والاجتماعية تحاول سلب حرية الفرد وخصوصيته، تلك الذات الفردية التي حاول الاستعمار في بلدان الشرق أن يكفّها عن المطالبة بحقوق بلدانها ورقّي شعوبها.

أما الفلسفية فهي نسبة إلى لفظ الفلسفة، تلك الكلمة اليونانية المشهورة. فقد أجمع العلماء على أن هذه الكلمة معربة إلى "فيلوسوفيا"، وهي منحوتة من كلمتين "فيلو" و "سوفيا". والأولى تعني الحب، والثاني تعني الحكمة. فيكون معنى فيلوسوفيا هو حب الحكمة، ولذا وصف أفلاطون وسقراط بأنه "فيلاسوفوس" بمعنى محب الحكمة.[٥٠]

[٤٧] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ١٧٧.
[٤٨] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٢١٠.
[٤٩] أحمد محمد عبد الهادي، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ٢١.
[٥٠] الشهرستاني، *الملل والنحل* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ط٢، ج٢، ص. ٢٣١.

يتميز التفكير الفلسفي بخصائص عديدة، أهمها:

١- الدهشة وإثارة التساؤل: حيث لا يتوقف نشاط العقل لدى الإنسان حين يندهش، بل يحفزه ويدفعه للتساؤل عن أسباب ذهوله حول أشياء ما.

٢- الاستقلال: التفكير الفلسفي تفكير مستقل، وليس تابعا، كما أنه لا يخضع للآخرين أو لإجماعهم على أفكار معينة، بل هو تفكير منطيقي مستقل أساسه العقل.

٣- التأمل: وهو استغراق الفيلسوف بعمق في مسألة أو فكرة معينة دون غيرها، والتركيز عليها وحدها.

٤- الدقة المنطيقية: الأفكار الفلسفية يجب أن تتميز بالمنطق، أي أن يتم التعبير عنها بدقة ووضوح، وعلى صورة مفاهيم محددة ومجردة، تبدأ من مقدمات تقود إلى نتائج يقينية لايمكن نقضها.[٥١]

والشابي في قصيدة حديث المقبرة أورد عدة تساؤلات عن الكون بعد الممات في شعره، وكذلك تأمله فيها عن الأحوال والوقوع بعد الممات. وهذا يدل على وجود الفكر الفلسفي لدي الشابي في قصيدة حديث المقبرة التي تحللها الباحثة في الفصل التالي.

أما الرومانسية فتدخل المذاهب الأدبية في الدراسات المقارنة بوصفها تيارات فكرية وفنية واجتماعية، تعاونت الآداب الكبرى العالمية في نشأتها ونموها، وقد مثل كل مذهب منها روح العصر الذي نشأ فيه خير تمثيل، وقد ازدهرت هذه المذاهب في الآداب الغربية منذ أسفر عصر النهضة الأوروبية عن الاستقرار الكلاسيكي بما ساد فيه من أسس فنية وفكرية، وأهميتها واضحة من ناحية تأثيرها العميق في أدبنا الحديث؛ إذ لا نستطيع أن نفهمه حق الفهم ولا أن نتبع جوانب التجديد فيه بدون القيام بهذه الدراسة.[٥٢]

---

[٥١] كمال الجندي، مصطفى النشار، سعاد محمود وآخرون، *مبادئ التفكير الفلسفي والعلمي* (مصر: وزارة التربية والتعليم قطاع الكتب، د.ت)، ص. ٢٤-٢٥.

[٥٢] المكتبة الشاملة (مناهج جامعة المدينة العالمية)، *الأدب المقارن* (المدينة: جامعة المدينة العالمية)، ص. ٥٧٥-٥٧٦.

رومانسي، رومانتيكي، إبداعي (Romantic) صفات تطلق على كل ما يتعلق بالنزعة الأدبية التي عاشت في أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر. وكانت تبرز الإبداعي والتعبير الذاتي والولع بالطبيعة موضوعا للأدب ومعياراً لجدوته.[٥٣]

ومن أسسها الفكرية الفلسفية الحرية. فإذا كان شعار البروجوازية "دعه يعمل دعه يمر" فإن شعار الرومانسية "دعه يعبر عن ذاته".[٥٤]

رومانس (Romance) لفظة إسبانية الأصل تدل على نوع من الصياغة الشعرية مؤلفة من مجموعة أبيات ثمانية المقاطع، تكون فيها الأبيات الزوجية مشتركة في القافية والأبيات الفردية مطلقة أي غير مقفاة كما هي الحالة في قصائد "السيد Cid" الإسبانية، وهذا السياق من النظم منحدر من البيت الملحمى القديم المؤلف من ستة عشر مقطعا فيتحول كل من الصدر والعجز إلى بيت مستقل.[٥٥]

كلمة رومانتيزم (Romantisme) ترجع في الأصل إلى كلمة (Roman) الفرنسية، وكانت تدل في العصور الوسطى على قصة من قصص المخاطرات شعرا ونثرا، ومنذ عام ١٧٦٠ أصبحت تذكر مقابلة لكلمة كلاسيكية، وكان وليام سليجر "A.W. Shlegal" أول من بدأ بمعارضة الرومانتيكية بالكلاسيكية على أنها اتجاه جديد في الأدب، ثم تلته مدام دي ستال "Madame de Stale".[٥٦] فلفظ الرومانسية من الألفاظ التي تتمتع بسحر خاص توحى بالحس المرهف، بالشفافية، بالنقاء الروحي، بحب الطبيعة والجمال، هي دائما مقرونة في الأذهان بضوء القمر وما إلى ذلك.

---

[٥٣] مجدي وهبة، *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب* (بيروت: مكتبة رياض الصلح، ١٩٨٤م)، ط٢، ص. ١٨٩.

[٥٤] محمد بوزواوي، *معجم مصطلحات الأدب* (الجزائر: الدار الوطنية للكتاب، ٢٠٠٩م)، ص. ١٥٨.

[٥٥] نسيب نشاوي، *مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية الإتباعية –الرومانسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية* - (قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص. ٦٥.

[٥٦] محفوظ كحوال، *المذاهب الأدبية (الكلاسيكية، الرومانسية، البرناسية، الواقعية، الوجودية، السريالية، مع أروع النصوص الأدبيين الغربي والعربي)* (الجزائر: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص. ٦٥.

فلقد تميزت الرومانسية بخصائص أساسية تحملها فيما يلى:

١- الاندماج في عالم الطبيعة الواسع والركون إلى أخضانها واستشعار حنانها والتسبيح بجمالها وروعتها ومناجتها كحبيبة وأم ملهمة والتماس العزاء لديها من الأم الانكسارات الحادة في عصرهم وتجاربهم الخاصة والوصول إلى فلسفة طبيعة قوامها ثنائية البشر والطبيعة ورموزها التي تقول لنا بأبجديتها كل شيئ وتعبر عن أشياء نحسها ولانراها وعلى كل علاقات البشر وأحوالهم والتوحيد بين الطبيعة والإله والإنسان.

٢- التمادي في الخيال والتصورات سواء ما كان منها إبداعيا واعيا أم أحلاما وهلوسات ونزوات ومرد ذلك النفور من الواقع المخيب والهروب إلى عوالم متخيلة ولو كانت عوالم الجن والخرافات وعرائس الشعر.

٣- التعمق في أسرار هذا الكون عن طريق تقديم الخيال وتفضيله على العقل وكذا الاندفاع العاطفي المسرف.

٤- التعبير عن القلق والحزم والتشاؤم والتفاؤل بالحياة.

٥- الدفاع عن الضعفاء والتوق في العالم تسوده مبادئ العدل والمساواة وقد كان اهتمام الرومانسيون كبيرا بالطبقة الكادحة من المجتمع وذلك بتصوير هموما ومعانتها اليومية.[٥٧]

والشابي كشاعر رومانسي ركّز على الجانب الوجداني وعالج فيها موضوعات رئيسية تنصف بكل مواصفات المذهب الرومانسي، فمن هذا الموضوعات:

١- الطبيعة

كانت الطبيعة من الموضوعات التي ظهرت في معظم الأعمال الأدبية على مر العصور. إذا ركّزنا النظر على الآثار الأدبية العربية التي وصلتنا من القرون السالفة نجد أن الشعراء العرب منذ الجاهلية قد اتجهوا نحو الطبيعة ومظاهرها، ووصفوها وصفا دقيقا، وتغنّوا بجمالها وزوايا الحسن فيها، فمثلا ابن خفاجة الأندلسي ١٠٥٨ – ١١٣٨ الشاعر المبدع في وصف الطبيعة يصف نهرا بقوله:

[٥٧] محمد غنيمي هلال، *الأدب المقارن* (مصر: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص. ٣٠٢.

لله نهرٌ سـال في بـطحـاء ** أشهر ورود من لمى الحسناء
متعطّفٌ مثل السّوار كأنه والزهرُ يكنُفه مجـرُّ سـمـاء
قد رقَّ حتى ظُنّ قرعا مفرغا ** من فـضـة في بـردة خـضـراء

فابن خفاجة في هذه الأبيات اعتنى بالشكل الخارجي للطبيعة ولم يلتفت إلى روح الطبيعة ذاتها ويسقط عليها من إحساسه وعواطفه ما يجعلها كائنا حيّاً ترثو لحاله عند الحزن والألم.

ولكن الشابي، كشاعر تأثر بالتيار الرومانسي مزج بين إحساسه ومظاهر الطبيعة من حوله واتخذ من الغاب والعصفور والزنبقة والبلبل مستودعا لأسراره وهمومه، لأنه لم يجد أفضل من الطبيعة يلجأ إليها وبيّنها شكوازه. وفي قصيدته (إلى الغاب) يشير إلى الشعور الذي ينتابه عندما يكون في الغاب بين صفوف النخيل والتلاع الخضر والآجام، إنه شعور يملأ عليه دنياه بهجة وسرورا ويسوقه إلى عالم من الخيال ينسى فيه الشاعر كل همومه وأحزانه، وقصيدته فيما يلي:

في الغاب دنيا للخيال وللرؤي ** والشـعـر والتـفـكير والأحـلام
لله يَـومَ مُـضِـيـتُ أول مَـرَّةٍ ** للغاب أَرْزَحُ تحت عبء سَقامي
ودخلتهُ وحدي، وحوْلي موكبٌ ** هَـزِجٌ مـن الأحـلام والأوهـام
ونسيت دنيا الناس فهي سخافةً ** سـكـرى مـن الأوهـام والآثـام
أرنـو إلى الأدواح، في جـبـروتهـا ** فـإخـالُـهـا عَـمَدَ السَّـمَـاءِ أمامي

٢- المرأة والحب

والشاعر الرومانسي هو أكثر من يعرف قيمة الحب في الحياة، والشاعر الرومانسي يبدأ حياته النفسية بالشعور بالانفصال عن العالم الواقعي، والغربة عن هذا العالم وهو يعيش بخياله مع أطياف الحب وصوره، ويبنى لنفسه عالماً من أغصان الطبيعة وأشجارها وزهورها يأوى إليه ويرتاح فيه ليفكر في قلبه وفي حبيبته الموعودة.[٥٨]

[٥٨] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٤١.

والحب عند الشابي حب رومانسي صادق، وأول مظاهر الرومانسية فيه هو المثالية الكاملة، فالمرأة التي يحبها هي امرأة من صنع خياله السامى، إنها امرأة مثالية تتكون من الأحلام والأطياف والزهور، وهي ليست من جسد بل من روح شفافة، وليست مزيجا من الخير الشر، ولكنها من خير مطلق وصفاء مطلق، وحبها ليس حبا حسيا، بل إنه لايختلط أبداً بأي معنى من معانى الحس، إنه حب روحي شفاف يسمو فوق نداء الغريزة ويختلف عن ذلك الحب العادى الذى يعرفه الناس.[٥٩]

ولعل مثالية الحب عند الشابي لم تتفتح مثلما تتفتحت في قصيدته المشهورة "صلوات في هيكل الحب"، ففي هذه القصيدة صورة شفافة رقيقة للمرأة، وكأنها امرأة تجيئ من عالم ملائكى سحرى لم يعرفه البشر. يقول الشابي في هذه القصيدة:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام ** كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء ** كالورد كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال ** وشباب منعم املود
يا لها من طهارة، تبعث التقديس ** في مهجة الشقي العنيد
يا لها رقة تكاد يرف النور ** دُ منها في الصخرة الجلمود
أتت ما أنت؟ ؟ أنت رسم جميل ** عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر ** وجمال مقدس معبود[٦٠]

وعند الشابي قصيدة تحمل صورة جديدة للمرأة هي: المرأة الأم، وهذه القصيدة تعتبر من أجمل شعره بما فيها من صور حية، وعاطفة حارة صادقة وتلك القصيدة هي "قلب الأم"،[٦١] وفيها يصور وفاء الأمومة

[٥٩] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٤٤.
[٦٠] كتب هذه القصيدة في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ/١٣ أكتوبر ١٩٣١م. أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ١٨٨.
[٦١] كتب القصيدة في ٥ شعبان ١٣٥٠هـ/١٦ ديسمبر ١٩٣١م. أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ١٧٩.

وثبات عواطفها، وعاطفة الأمومة هنا أيضا عاطفة مصدومة حزينة فقد مات الطفل ونسيه الصحاب الصغار، ونسيته الطبيعة، ولكن قلب الأم مازال يذكره.[٦٢]

٣- الإحساس الحاد بالألم والتشاؤم

كانت وفاة والده صدمة كبيرة بالنسبة للشاعر، لأنه دفعته إلى أن يواجه مسئوليات مادية عديدة وهو في هذه المرحلة المبكرة من عمره. لقد وضعته هذه الصدمة وجهاً لوجه مع الحياة في تجاربها العملية الواقعية، وكان متزوجاً في ذلك الحين، وان يعول السرة السرة الأخرى التي تركها أبوه وراءه، وقد كانت هذه المسئوليات الخاصة سبباً من الأسباب التي لونت شعر أبى القاسم باللون الحزين المكتئب.

والشاعر نفسه يذكر تأثير الحداثة في شعره، ففي قصيدة له بعنوان "قيود الأحلام" يعدد المشاكل التي تقف في طريقه، وتعترض أمانية التي تتركز في رغبته أن يعيش حياة شعرية مليئة بالأحلام العالية والأفكار العالية معاً، ولكنه يعجز عن تحقيق هذا الحلم بسبب "الأسرة" ومسئولياتها التي تشده إلى الواقع وتحرمه من الحياة على جناح الحلم والأفكار الشفافة:

وأود أن أحـــيا بفكرة شـــاعر ** فأرى الوجود يضيق عن أحلامي
إلا إذا قطـعت أسبابي مع الـ ** دنيا وعشـــت لوحدتى وظـــلامي
لكنـني لا أستـــطيع فإن لـــى ** أمـــاً يصـــد حـــنانها أوهـــامي
وصغار إخوان يرون سلامهم ** في الكـــائنات معـــلقا بســـلامي[٦٣]

وقد أصيب قبل العشرين بمرض التضخم في القلب كما ذكر في ترجمته، وصبغ هذا المرض حياة الشابي بالحزن. وهذا المرض هو عنصور أساسي من عناصر "المأساة الخاصة" التي عاش فيها الشابي وأثرت في شعره تأثيرا كبيرا، وقد امتلأ شعره بالحديث عن قلبه الجريح الذي يهدده الموت كل لحظة.[٦٤]

[٦٢] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٤٧.
[٦٣] كتب هذه القصيدة في ٧ صفر ١٣٥٠هـ/ ٢٤ جوان ١٩٣١م. أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ١٦٤.
[٦٤] رجاء النقاش، *أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة*، ص. ٢٠.

تحليل قصيدة حديث المقبرة

كتب أبو القاسم الشابي قصيدته حديث المقبرة في ٣ من أبريل ١٩٣٢م/ ٢٦ من ذي القعدة ١٣٥٠هـ، وهي من بحر المتقارب.[٦٥] حيث كان الشابي متسائلا في جدوى الحياة والموت عبر حوار بينه وبين روح فيلسوف. فالمقبرة حملت على التساؤل.

فقصيدة حديث المقبرة هي حوار فلسفي مداره الحياة والموت والخلود والكمال. في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المركوم، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم حيث يتحدث كل شيئ بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والذكريات، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها قي قلب الغزل وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبيرة، وجاشت في قلبه هاته الصور والخواطر وعجت في صدره عجيج الأيام الساخرة، فألقاها إلى الليل في النشيد.[٦٦]

تتكون قصيدة حديث المقبرة من سبعة مقاطع، كل مقطع منها يدور حول فكرة رئيسية. ويمكن تناولها على النحو التالي:

---

[٦٥] أصل تفاعليه:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (تح: سعيد محمد اللحام)، ص٨٨.

[٦٦] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٠.

المقطع الأول

يتكون هذا المقطع من سبعة أبيات مليئة بالصور الفتانة في المعانى، المبتكرة في الأخيلة:

أَتَفنَى ابتِسَامَاتُ تلك الجُفُونِ ** ويخـــبو توهُّـــجُ تلك الخُـــدودْ
وتَذوي وُرَيْدَاتُ تلك الشِّـــفَاهِ ** وتَهـــوِي إلى التُّرْبِ تللك النُّـــهُودْ
ويَنْهَدُّ ذاك القـوامُ الرَّشِـيقُ ** وينـــحلُّ صَـــــدرٌ، بَدِيْعٌ، وجِيدْ
وتربدُّ تلك الوُجُوْهُ الصِّبـاحُ ** وفـــتنةُ ذاك الجمـــالِ الفـــريدْ
ويغبرُّ فـرعٌ كجُنْح الظـلامِ ** أنيـــقُ الغـــدائرِ، جَـعْدٌ مدِيدْ
ويُصبحُ في ظُلُمَاتِ الـقُبـورِ ** هبـــاءً، حقـيراً، وتـرباً، زَهِيـدْ
وينجابُ سِحرُ الغَرامِ القويّ ** وسُكرُ الشَّبابِ،الغريرِ،السعيدْ[٦٧]

هذه الأبيات تصوير حزين لتساؤلات الشابي عن الحالات التي يؤول إليها ويصبح عليها جسم الإنسان في القبر. كما يتساءل عن زوال الصفات بعد الممات. لأنه لا يحب الحياة خوفا أن تزول، وأنه يخشى زوال الابتسامة العذبة وفناء الخدود الجميلة، وكذلك من أن تذوي الشفاه الوردية. وعنى الشابي في هذا المقطع أيضا بامرأة عناية خاصة واجتهد كثيراً في نعت صورتها في شعره، موظفا في ذلك طاقة اللغة والخيال. ومكانة المرأة عند الشابي تميزت بالنظرة الروحية العميقة، والنظرة الفنية. و بالنسبة للشابي المرأة مهدئ معنوي للأحزان. فأبو القاسم الشابي في هذه الأبيات يخشى زوال الصباح العذب الجميل واندثار الشمس، وضوؤها المشرق.

إن الفكر الفلسفي والرومانسي تتمثلان في هذا المقطع. أما الفلسفي فيكون في تساؤلات الشابي عن الحالات التي يؤول إليها ويصبح عليها جسم الإنسان في القبر، وعن زوال الصفات بعد الممات. وهذه التساؤلات مبدوءة بكلمة الاستفهام " أَتفنَى". بينما يسير الفيلسوف مع عقله لكي يجمع الإجابات عن الأسئلة التي سألها فيركب منها قانونا موحدا يفسر فيه حدوث الظواهر واختلافها وأسباب تغيرها. أما القيم الرومانسية فتكون في عناية الشابي بالمرأة في هذه الأبيات. لقد وضع الرومانسيون العناية بالمرأة في شعرهم،

[٦٧] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٠.

حيث نجد النعماني يقول: "إن جمال المرأة في نظره فن مجرد عن تلك المظاهر المادية التى تتصل بالجسد، إن النظرة السامية للمرأة يزدوج فيها الحب مع الإجلال، إنها قطعة من فنون السماء، يلتمس لديها من الإلهام ما تضمن به ينابيع الوجود.[٦٨]

ومن الصور البلاغية في هذه الأبيات اعتماد الشابي على وصف مشبه، مثل قوله: "القوام الرشيق"، و"صدر بديع"، و"الجمال الفريد". كما أورد الشابي في أوائل البيت في كل المقاطع بصيغة الاستفهام،[٦٩] وهذا لبيان تساؤلاته عن الحياة والموت.

المقطع الثاني

يتكون هذا المقطع من اثني عشر بيتا، هي:

أتُطوَى سَماوَاتُ هذَا الوُجُودِ ** ويذهب هذَا الفَضَاءُ البَعِيدْ
وَتهلِكُ تلك النُجُومُ القُدامى ** ويـهـرَمُ هـذا الزَّمَانُ العَهيدْ
ويقضِى صبَاحُ الحَياةِ البَدِيعُ ** ولَيلُ الوجود الرَّهِيبُ العَتِيد
وشمسٌ توشِّي رداءَ الغـمَامِ ** وبَدرٌ يـضيئ وغـيـمٌ يـجـوْدْ
وضَوءٌ يُرَصِّع مَـوْجَ الـغـديرِ ** وسِحرٌ، يـطرّزُ تـلك الـبرُودْ
وبحرٌ فَسِيْحٌ بعِـيـدُ الـقرَار ** يضجُّ ويَدْوي دويَّ الـرعـوْدْ
وريـحٌ تـمـرُّ مـرورَ الـملَاكِ ** وتخطو إلى الغاب خَطوَ الوليدْ
وعَاصِفَةٌ من بنـات الجحِيم ** كأنَّ صـداها زئيـرُ الأسـوْدْ
تَعجُّ فَتَدْوِي حـنـايا الجبـال ** وتمشي فتهوى صُخُورُ النُّجُودْ
وطيرٌ تَغَنّى خـلَالَ الغُصُـوْنِ ** وتهـتـفُ للـفجـر بين الـورود

[٦٨] عبد العزيز النعماني، *رحلة أبى القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا الشعر* (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م)، ص. ٣٧.

[٦٩] الاستفهام هو نوع من الإنشاء الطلبي، والإنشاء الطلبي هو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب. أما الاستفهام نفسه هو طلب العلم بشئ لم يكن معلوما من قبل. علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص. ١٩٤.

وزهـرٌ يـنمّقُ تـلك التـلال ** ويَـنهَـلُ من كلِّ ضَوءٍ جَـدِيـدْ
ويَعـبَـقُ منـه أريـجُ الغَـرَامِ ** ونفحُ الشباب، الحيّ السَّـعِيدْ[٧٠]

تحتفل هذه الأبيات بجملة من الصور الطبيعة التي أوردها الشابي لتساؤلاته الحزينة العميقة عن حالة الكون بعد فنائه. واستخدم الشابي ألفاظا متتابعة وأوردها لما بينها من تقارب في المعانى. ومن هذه الأبيات نستخلص أن الرومانسيين أوردوا كثيرا من الصور الطبيعة في شعرهم، لأنهم عاشوا في مرحلة الثورة على القيود والتقاليد والظلم.

يتضمن المقطع الثاني الفكر الفلسفي والرومانسي. أما الفكر الفلسفي فيكون في تساؤلات الشابي عن كيفية فناء الكون حزينا عميقا، وتلك التساؤلات من سيمة وصفة الفيلسوف الذي يسير مع عقله ليجمع الإجابات عن الأسئلة التي سأل عنها، والكلمة التي تدل على تساؤل الشابي هي "أَتُطْوَى". أما القيم الرومانسية فهي ذكر الصور الطبيعة كثيرا في هذه الأبيات، علما بأنه من موضوعات الرومانسية في كتابة شعرهم.

ومن الصور البلاغية في المقطع اتسام شعر الشابي بقوة التعبير وبراعة العرض والتصوير ومتانة الأسلوب، وسعة اللغة، وقوة في الخيال، وجمال في التراكيب، ودقة الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه.[٧١] ومثال الاستعارة من هذه الأبيات فيما يلى:

طيرٌ تُغنِّي خلال الغصون ** وتهتف للفجر بين الورود

ففيه استعارة مكنية[٧٢]، بحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه "الغناء" و"الهتف"، حيث شبه الطير بإنسان يغنِّي ويهتف أي ينادى. ومن هنا نرى تشخيص في هذه الأبيات حيث رفع الطير إلى درجة الإنسان ومنزلته. أما مثال التشبيه فيكون في هذا البيت:

وعاصفةٌ من بنات الجحيم ** كأنَّ صَدَاها زئير الأسواد

[٧٠] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠١.
[٧١] محمد عبد المنعم خفاجي، *الشابي ومدرسة أبولو* (تونس: جامعة منوبة، د.ت)، ص. ١٧٨.
[٧٢] الاستعارة هي من نوع علم البيان، تكون الاستعارة تبعيّةً إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مشتقا أو فعلا، كل تبعية قرينتها مكنية، وإذا أجريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع اجراؤها في الأخرى..علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص. ٨٤.

حيث يشبه صدى العاصفة بزئير الأسود مستخدما حرف الكاف كأداة للتشبيه.[٧٣]

ومن أمثلة المجاز، قوله:

وزهرٌ، يُنَمّقُ تلك التِّلال ** ويَنهَلُّ من كل ضوءٍ جديدْ

حيث فيه مجاز،[٧٤] عندما يبالغ الشاعر في اعتباره أن الزهر ينهل أي يشرب من الضوء الجديد.

المقطع الثالث

يتكون هذا المقطع من أحد عشر بيتا، على النحو التالى:

أيسطُوا على الكلِّ ليلُ الفناءِ ** ليهُو بها الموتُ خَـلْفَ الوجودْ..

وَيَنْثُرَهَا في الفـــراغِ المُخِيْفِ ** كما تنثُر الوردَ ريـــحٌ شَرود

فينضُبُ يمُّ الحياةِ، الخضمُّ ** ويخمدُ روحُ الرَّبيعِ، الوَلـــود

فلا يلثمُ النُّورُ سِحْرَ الخُدودِ ** ولا تُنْبِـتُ الأرضُ غَضَّ الورودْ

كبيرٌ على النَّفسِ هذا العَفَاءُ! ** وصَعْبٌ على القلب هذا الهُمودْ!

وماذا على القَـدَر المستـــمرّ ** لوِسْتمرأ الناسَ طعمَ الخلـودْ

ولم يُخْفَروا بالخراب المحيط ** ولم يُفْجَعوا في الحبيب الورودْ

ولم يَسلكوا للخُلود المـــرجيَّ ** سبـيلَ الرَّدى، وظَلام اللَّحـودْ

فدام الشَّبابُ، وسِحْرُ الغرامِ، ** وفنُّ الربيع، ولُطْـفُ الـــورودْ

وعاش الورى في سِلامٍ، أمين ** وعيشٍ غضيـــــر، رخيٍّ، رغيدْ

ولكن هو القَدَرُ المستبدُّ ** يلذُّ لـه نـــوْحُنا، كالنَّشيـــــد[٧٥]

---

[٧٣] التشبيه من نوع علم البيان، والتشبيه نفسه هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص. ٢٠.

[٧٤] المجاز من نوع علم البيان، فالمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازى قد تكون المشابَهة، وقد تكون غيرها، والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية. علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص. ٧١.

[٧٥] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠١-٢٠٢.

إن هذه الأبيات هي الاستمرار من تساؤلات الشابي من الأبيات المذكورة وهو يتساءل عن الفناء هل الفناء يعم الكل مثل الليل أيضا. ثم يواصل تساؤلاته عن استمرار الحياة باعتباره أن الفناء والموت صعب على النفس والقلب. أدرك الشابي أن الموت والفناء قدر، وهذه نتاج نفس ثائرة متمردة ساخطة من بؤسه وألمه واضطرابه. وعلى هذا، قد استسلم الشابي للقدر ولكن استسلام لم يصدر عن يقين وطمأنينة فهو ان يودع الحياة ويودعها ببكاء وحزن. قال النعماني: إن الشابي لم يكتب شعره مأخوذا بالذهنية الأسطورية فحسب، بل إنه استوى في البشرية، متأملا، محاولا العثور على الأصل البكر، إنه لم يحلق في متاهات ميتافيزيقية بقدر ما التمس طهارة الإنسان في حياة كان متأكدا أنها طريق للموت.[٧٦]

وتضمن هذه الأبيات الفكر الفلسفي والرومانسي، أما الفكر الفلسفي فهو استمرار تساؤلات الشابي من الأبيات المذكورة وهو يتساءل عن الفناء هل الفناء يعم الكل مثل الليل أيضا؟ ويتساءل أيضا لماذا لايخلد الإنسان ولماذا لا تستمر الحياة؟. بناء على أن الفيلسوف يسير عقله ليجمع الإجابات من تساؤلاته. أما القيم الرومانسية فتتمثل في استعمال كلمة "الليل" في تساؤله، بناء على أن الرومانسيين يحبون الليل ويتغنون به، لأن الليل مليئ بالأسرار التي لاتدرك، فهم يعتقدون أن الحقائق الكبرى تتجلى في ظلمات الأحلام.[٧٧]

والصور البلاغية في الأبيات السابقة أن كل مقطع مبدوء بصيغة الاستفهام للدلالة على تساؤلات الشاعر. وفي هذا المقطع ورد أيضا التشبيه على النحو التالي:

أيسطو على الكلِّ ليلُ الفناء ** ليلهو بها الموتُ خلف الوجود

حيث يشبه الشاعر الفناء بالليل وهو تشبيه معكوس،[٧٨] أصله: "فناء كالليل". ووجه التشبيه هو السكون. وأورد الشابي الجمع بين المتناقضات على النحو التالى:

ولكنْ هو القَدَرُ المستبدُّ ** يلذُّ له نَوحُنا، كالنَّشِيدْ

[٧٦] عبد العزيز النعماني، *أبو القاسم الشابي طائر في دنيا الشعر*، ص. ١٧.

[٧٧] محمد عبد المنعم خفاجي، *الشابي ومدرسة أبولو*، ص. ٢٣٧.

[٧٨] التشبيه المعكوس، أي: المقلوب هو جعل المشبه مشبَّها به بادّعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر. ومن هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتابه وسماه تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيئ بشيئ لفظا أوتقديرا ثم يعدل من التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به. علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، ص. ٦٠.

من هنا يبدو لفظ "النشيد" في هذا البيت، مع أنه إثارات مختلفة لصور الفناء والعفاء. ونجد الشاعر في هذا البيت يتعجب من القدر الظالم، ويساعد على ظهور الصورة الشعرية وهو الجمع بين المتناقضات، فالنوح هو البكاء والتفجع، أما النشيد فهو نغم الفرح والصفاء. وكذلك التضاد في قوله:

ولم يُسلكوا للخلود المرجَّى سبيل الردى، وظلام اللُحودْ

والخلود ضد الردى، فالخلود يدل على استمرارية الحياة، وأما الردى فهو الموت، وهنا انقطاع استمرارية الحياة.

المقطع الرابع

يتكون هذا المقطع من اثني عشر بيتا، على النحو التالي:

تَبَرَّمْتَ بالعيش خوف الفنـاء ** ولو دُمْتَ حيّاً سئِمتَ الخُلُودْ
وعِشْتَ على الأرضِ مثل الجبال ** جـلِيلاً، رهِيباً، غرِيباً، وحيـدْ
فَلَم تَرتشفْ من رُضابِ الحياة ** ولم تصطبِحْ من رَحِيقِ الوُجُود
ولـم تدرِ ما فِتْـنـةُ الـكائـنـاَتِ ** وما سحرُ ذاك الـرَّبِيعِ الـوَلـيدْ
ومـا نشْوةُ الـحبّ عند المحبّ ** وما صرخةُ القلبِ عِندَ الصدودْ
ولـم تـفتـكـرْ بالـغـدِ المستـرابِ ** ولـم تـحتـفـلْ بالـمرامِ البـعـيدْ
وماذا يُـرَجِّي ربـيـبُ الـخـلـودِ ** من الكون وهو المقيمُ البـعـيدْ
ومـــاذا يـوذُّ ومـاذا يـخـافُ ** من الكون وهو المقيمُ الأبـيـدْ
تأمَّـلْ فـإنَّ نِـظَـامَ الـحـياةِ ** نِـظَـامٌ دَقِـيـقٌ بـديـعٌ فـريـدْ
فما حبَّبَ العيْشَ إلا الـفـنَاءُ ** ولا زانَـهُ غيرُ خـوفِ الملـحُـودْ
ولولا شقاءُ الـحيـاةِ الأليـمُ ** لما أدرك النَّاسُ معنى السّـعُـودْ
ومن لم يَرُعْه قطوبُ الدَّيَاجيـ ** ـرِ لَم يغتبِطْ بالصَّبَاح الـجديدْ[٧٩]

[٧٩] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٢.

يتضمن هذا المقطع مخاطبة روح الفيلسوف للشاعر، وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين. وكأن روح الفيلسوف في هذه الأبيات تلوم الشاعر على جموده وعدم استغلاله واستمتاعه بروعة الحياة، وكذلك عدم مبالاة بالمستقبل.

ويتضمن الفكر الفلسفي والرومانسي. أما الفكر الفلسفي فهو وجود روح الفيلسوف الذي تلوم الشاعر فخاطبه بتلك الأبيات التي تفيد باستمرار تساؤلات الشابي. حيث نجد فيه أن الشاعر يلوم نفسه لأنه تمسكت بالعيش خوف الفناء، فلذلك عاش في الأرض مثل الجبال وحيدا، مخيفا باعثا عن الرهبة فأرادت بذلك أن تعلمه الحكمة بقولها أن نظام الحياة دقيق، وما يحب العيش إلا الفناء وأن السعادة لاتدرك إلا بالشقاء.

فأجاب روح الفيلسوف لتساؤلات الشابي، وتقول: تأمَّلْ ... الخ، حيث أرادت روح الفيلسوف المحاولة في إقناع الشابي بأن الخلود يعني الجمود، أي: جمود الجبال، وأن خلود النفس قاتل طموحها، فلا معنى للاستمتاع بالحياة، فما حبب الإنسان للحياة إلا أن هناك يوم الفناء، فإن تبدد هذا الخوف واطمأن إلى استمرار الحياة، وافنسان لا يستشعر معنى السعادة إلا إذا شعر بالشقاء وعانى الخوف.

أما القيم الرومانسية في هذه الأبيات فتتمثل في ذكر حزن الشاعر المسكين من آلامه الروحية، علما بأن هذا من موضوعات الرومانسية في كتابة شعرهم.

والصور البلاغية في هذه الأبيات تتمثل في اشتخدام الشاعر لكثير من المتناقضات أو التضاد أو المقابلات، مثل قوله:

تَبَرَّمْتَ بالعيش خوف الفنـاء ** ولو دُمْتَ حيّاً سئِمتَ الخُلُـودْ

ونجد المقابلة هنا في الشطر الأول من كلمة "الفناء" وتقابلها كلمة "الخلود" في الشطر الثانى. وكذلك ورد أسلوب التشبيه في شعره من قول روح الفيلسوف للشابي فيما يلى:

وعِشْتَ على الأرضِ مثل الجبال ** جـلِيلاً، رهِيباً، غرِيباً، وحيـدْ

ومن هنا نجد روح الفيلسوف تشبه الشابي في وحدته وغرابته وبعثه على الرهبة مثل الجبال.

المقطع الخامس

يتكون هذا المقطع أربعة عشر بيتا، فيما يلى:

إذا لم يكن من لقاء المنايا ** منَاصٌ لمن حلّ هذا الوُجودْ
فأيُّ عناء لهذي الحياة ** وهذا الصّراع العنيف الشديدْ
وذاك الجمالُ الذي لايمَلُّ ** وتلك الأغانى، وذاك النشيدْ؟
وهذا الظلَامُ وذاك الضياءُ ** وتلك النجومُ وهذا الصعيدْ
لماذا نمرّ بوادى الزمان ** سِراعا، ولكننا لانعودْ
فنشرب من كل نبع شرابا ** ومنه الرفيعُ ومنه الزهيدْ
ومنه اللذيذُ ومنه الكريهُ ** ومنه المُشِيدُ ومنه المبيدْ
ونحمل عبئا من الذكريات ** وتلك العهود التي لاتعودْ
ونشهد أشكال هذي الوجوه ** وفيها الشقي وفيها السعيدْ
وفيها البديع، وفيها الشنيع ** وفيها الوديع وفيها العنيدْ
فيُصبح منها الوليُّ الحميم ** ويصبح منها العدوُّ الحقودْ
وكلٌّ إذا ما سألنا الحياةَ ** غريبٌ لعمري بهذا الوجودْ
أتيناه من عالمٍ لا نراه ** فُرادَى فما شأن هذي الحُقودْ؟
وما شأن هذا العداء العنيف ** وما شأن هذا الإخاء الوَدُودْ؟[٨٠]

في هذه الأبيات راق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها:[٨١]

إذا لم يكن من لقاء المنايا ** منَاصٌ لمن حلّ هذا الوُجودْ

هذا البيت يدل على استمرار تساؤلات الشابي كما مر من الأبايت المذكورة. إلا أن هذا البيت من رد الشابي قول روح الفيلسوف متسائلا لماذا حل الوجود إذا لم يكن هناك مهرب الموت.

[٨٠] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٢-٢٠٦.
[٨١] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ١٧٤.

والفكر الفلسفي فيها هو استمرار تساؤلات الشابي مثلما تمثلت الأبيات المذكورة. أما الفكر الرومانسي فيتمثل في ذكر الطبيعة التي تعتبر من موضوعات الرومانسية في كتابة شعرهم.

والصور البلاغية في هذه الأبيات تتمثل في التشبيه والاستعارة في معظم النص. وكذلك التضاد الذي تجلى فيها في الكلمات: "الظلام والضياء"، الرفيع والزهيد"، "اللذيذ والكربة"، "المشيد والمبيد"، "الشقي والسعيد"، "الولى الحميم والعدو الحقود"، "العداء العنيف والإيخاء الودود". وفيها استعارة مكنية، حيث حذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه "السؤال" حيث يشبه الحياة بإنسان يسأل.

المقطع السادس

يتكون هذا المقطع من أربعة أبيات على النحو التالي:

خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ** ونصبح أهلا لمجد الخلودْ

وتُطهَرَ أرواحنا في الحياة ** بنار الأسى.... (بياض بالأصل والمسودة)

ونكسب من عثرات الطريق ** قُوى لاتهدُّ بدأب الصعودْ

ومجداً يكون لنا في الخلودْ ** أكالِيلَ من رائِعاتِ الوروْد[٨٢]

اقتنع الشابي من خلال هذه الأبيات من موقف الفيلسوف. وقال النعماني: "ولا أظنني مبالغا إذا قلت: إن ذلك الخلود هو ما كان ينشده الشابي، ويبتغيه طيلة حياته القصيرة المضطربة الممثلة كفاحا مع ظواهر المادة المتناقضة، الزائلة، طموحا إلى عالم اللانهاية، حيث لاقيد ولا فتور.[٨٣]

[٨٢] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٣.

[٨٣] عبد العزيز النعماني، *أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا الشعر*، ص. ٧٢.

هذه الأبيات تتضمن القيم الرومانسية فحسب ولا تتضمن الفكر الفلسفي لكون الشاعر قد اقتنع بقول روح الفيلسوف ولا يستمر الشابي في تساؤلاته فيها. أما القيم الرومانسية فتتمثل في ذكر حزن الشاعر المسكين من آلامه الروحية، علما بأن هذا من موضوعات الرومانسية في كتابة شعرهم.

والصور البلاغية في هذه الأبيات تكون في صيغ لغوية بسيطة كالإضافة،[٨٤] وذلك في قوله: "شأو الكمال"، "نار الأسى"، "عثرات الطريق".

المقطع السابع

يتكون هذا المقطع من أحد عشر بيتا على النحو التالي:

خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ** ونصبح أهلا لمجد الخلودْ
ولكن إذا ما لَبسنا الخلودَ ** ونِلنا كمالَ النُفوسِ البعيدْ
فهل لانَمَلُّ دوامَ البقاء؟ ** فهل لانَوَدُّ كمالا جديد؟
وكيف يكونَّ هذا "الكمالُ" ** ماذا تراه؟ وكيف الحدود؟
وإنَّ جمال "الكمال" "الطُّموح" ** ومادامَ "فكراً" يُرى من بعيدْ
فما سِحْرُهُ إن غدا "واقعاً" ** يُحَسُّ، وأصبحَ شيئاً شهيدْ؟
وهل ينطفي في نفوس الحنينُ ** وتصبحُ أشواقُنا في خُمودْ؟
فلا تطمحُ النَّفسُ فوقَ الكمال ** وفوق الخلود لبعض المزيدْ؟
إذا لم يَزُلْ شوْقُها في الخلود ** فذاك لعمرى شقاءُ الجدودْ
وحربٌ ضروسٌ كما قد عهدت ** ونَصرٌ وكَسرٌ وهمٌّ مديدْ
وإن زال عنها فذاك الفناءُ ** وإن كان في عَرَصات الخُلودْ.[٨٥]

[٨٤] الإضافة أي المركب الإضافي هو ما تركب من المضاف والمضاف إليه، وحكم الجزء الثاني مجرور أبدا. مصطفى الغلاييني، *جامع الدروس العربية* (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص. ١٣.

[٨٥] أبو القاسم الشابي، *أغاني الحياة*، ص. ٢٠٤.

لقد عاش الشابي كالزهرة الغصة ينهل من الضياء والجمال ليجعل من فقر الحياة واحة جميلة،[٨٦] فالشابي لم يترك معنى من معانى الجمال في الطبيعة إلا وراحت خلجات نفسه تسامره وتناشده. كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لايسمع نجواه، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذى لا يسمع ولا يجيب.[٨٧]وقد توصل الشابي في آخر عهده "إلى التوفيق بين طموح نفسه نحو الكمال والجمال المطلق، وما في الكون من مظاهر تفنى وتتلاشى، فأدرك أن الانتصار نصيب الطامحين، والجمال مورد لايصيبه التوقف.[٨٨] فمن هنا نرى أن جمال الشعر يتعلق بمدى اتصاله بالبيئة والمجتمع ومامسته بقضايا النفس والواقع.

هذه الأبيات تتضمن من الفكر الفلسفي والرومانسي، أما الفكر الفلسفي فيكون في تلم التساؤلات الواردة فيها: "فهل ..... وكيف ... ماذا .... الخ" فالأبيات تدل على أن الشاعر يتساءل عن البقاء: هل الإنسان لا يشعر بالملل لبقائه في الدنيا، أي بسبب عدم حضور الموت. أما رومانسيته في هذا مقطع الشعر فتتمثل في استعمال الشاعر عبارة الحزين المسكين من آلامه الروحية.

والصور البلاغية تكون في اعتماد الشاعر في هذا المقطع على أسلوب التكرار، حيث ردد الكلام الذي قالته روح الفيلسوف يقول:

خُلِقنـا لنبـلغ شأوَ الكمـال ** ونصبح أهلا لمجـد الخلـودْ[٨٩]

هذا البيت قد تكرر مرتين في القصيدة، حيث ورد في أول البيت في المقطع السادس، دلالة على تأثر الشاعر بكلام الفيلسوف.

[٨٦] عبد العزيز النعماني، *أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا الشعر*، ص. ٤٢.
[٨٧] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ١٧٦.
[٨٨] عبد العزيز النعماني، *أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا الشعر*، ص. ٧٣.
[٨٩] أحمد محمد عبد الهادى، *ديوان أبي القاسم الشابي*، ص. ١٧.

هكذا، وفي قصيدة "حديث المقبرة" تلاحم بين الصور المفردة والمركبة. فقد تجلت الصور المفردة من خلال توظيف الشاعر للمجاز والاستعارة والتشبيه وكثرة استعمال صيغة الاستفهام لكثرة تساؤلات الشاعر. وأما الصور المركبة فقد تجيدت من خلال الوحدة العضوية، وجمعت القصيدة كل من الفكرة أي الصراع ما بين الموت والحياة والعاطفة أي سيطرة جو نفسي واحد وهو الحزن والخوف من الفناء.

الخلاصة

اتضحت مما سبق شخصية أبي القاسم الشابي بصفته أحد أبرز شعراء عصر النهضة الذين غنوا إرادة الشعب. والكلمات التي نطقها طيلة خمسة وعشرين سنة من حياته كلها كلمات محب عاشق للإنسان والحياة. كان ديوانه المشهور تعبير عما يتعلق بحياته القصيرة منذ محبته لامرأة ولكن فشل حبه ليقبل ما أمر أبوه على التزوج بامرأة أخرى حتي أصابه مرض القلب الشديد الذي يسبب وفاته.

فالشابي شاعر رومانسي له ألوان مميزة تزين شعره، مثل: الطبيعة، والحب والمرأة، والألم والحزن. ولكن سمي الشابي كذلك بالشاعر الفلسفي، لاتسام قصائده بالأفكار الفلسفية الثلاثة وهو يكتب عن فكرة "إرادة الحياة" وفكرة "الموت" وفكرة البقاء للأقوى". وعلى هذه الأفكار الثلاث اشتهر الشابي بشاعر الموت وهو يكتب عن الموت كثيراً كما في قصيدة "حديث المقبرة". وعلى الرغم من كونه شاعر فلسفة لكن ظروفه لم تتح له أن يصل بهذه الفلسفة إلى النضج الكامل فإنه بلا شك قد سار في الطريق الصحيح للشعر الرفيع، ووصل إلى أعلى درجة يمكن أن يصل إليها شاعر عظيم في سنه وظروفه الصحية والاجتماعية والثقافية، وهي ظروف أقل ما يقال عنها ظروف عسيرة.

وقصيدة حديث المقبرة قصيدة يتجلى منها عنوان القصيدة المتناقض بين حديث ومقبرة. ففيها تساؤلات الشاعر، حاول من خلالها الكشف عن عوالم نفسية وفلسفية، وهي صراع الشاعر مع الحياة لأن الموت كان قريبا منه. والموت عنده أن تصبح الحياة فارغة من المعنى، أن تصبح بلا دلالة معنية ولا غاية معينة، وعندما تمشي الحياة بلا غاية، ويتأمل الإنسان الحياة فيجدها هوة فارغة صامتة لا تدل على شيئ. ومن القيم الفلسفية الرومانسية في مقاطع هذه القصيدة: تساؤلات الشابي عن الحالات التي يؤول إليها

ويصبح عليها جسم الإنسان في القبر. وفيه أيضا عناية الشابي عن المرأة. (المقطع الأول)، وتساؤلاته عن كيفية فناء الكون حزينا عميقا بذكر صور الطبيعة كثيرا في (المقطع الثاني)، تساؤلاته عن الفناء والخلود باستعمال لفظ "الليل" بناء على الرومانسيين الذين يحبون ويتغنون به (المقطع الثالث)، الكلام عن الحكمة من روح الفيلسوف ورد الشابي بالتساؤلات لماذا حل الوجود إذا لم يكن هناك مهرب الموت مع حزين الشاعر المسكين من آلامه الروحية. (المقطع الرابع)، واستمرار تساؤلاته عن حل الوجود بذكر صور الطبيعة (المقطع الخامس)، اقتناع الشابي من بيان روح الفيلسوف وعبر بحزنه المسكين (المقطع السادس)، سؤال الشابي إلى روح الفيلسوف عن ملل البقاء وعبر كذلك بحزنه المسكين (المقطع السابع).

المصادر والمراجع

_____، *الخيال الشعري عند العرب*. تونس: سراس للنشر، د.ت.

ابن عمر، محمد صالح. *أبو القاسم الشابي صوتا استثنائيا*. تونس: دار إشراق للنشر، ٢٠١٠م.

ابن منظور، *لسان العرب*. الرياض: دار العالم الكتب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،.

بوزواوي، محمد. *معجم مصطلحات الأدب*. الجزائر: الدار الوطنية للكتاب، ٢٠٠٩م.

الجارم، علي. أمين، مصطفى. *البلاغة الواضحة*. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

جامعة محمد البشير الإبراهيمي، *مدخل إلى الفلسفة العامة*؛ محاضرات السنة الأولى علوم اجتماعية، ٢٠١٧-٢٠١٨م.

جبر، رياض شنته. *الشعر العربي والفلسفة*. د.م.: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

الحسن، تاج السر. *الإبداعية في الشعر العربي الحديث*. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.

حسن، محمد عبد الغني. *الشعر العربي في المهجر*. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ط٣، ١٩٦٢م.

خرفي، سهام. *أبو القاسم الشابي شاعر القلب والأحزان*. د.م: دار قرطبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الدسوقي، عمر. *في الأدب الحديث*. القاهرة: دار الفكر، ط٨، د.ت، ج ١.

رشوان، محمد مهران. *مدخل إلى الفلسفة المعاصرة*. القاهرة: دار الثقافة، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الزاوي، الطاهر أحمد. *ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة*. الرياض: دار عالم الكتب، د.ت، ج ٢.

الزماني، إبراهيم. *الغموض في الشعر العربي الحديث*. الجزائر: الساحة المركزية بن عكنون، د.ت.

الساحلي، حمادي. *صفحات من تاريخ تونس، تحقيق: الجيلاني بن الحاج يحيى*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

الشابي، أبو القاسم. *أغاني الحياة*. تونس: منشورات دار الشباب، ٢٠١١هـ.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. *الملل والنحل*. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ٢.

طنوس، جان نعوم. *أبو القاسم الشابي؛ ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره*. د.م: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. ٢٠٠١م.

عتيق، عبد العزيز. *في النقد الأدبي*. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.

عوين، أحمد. *الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث*. الإسكندرية: دار الوفاء، د.ت.

عيسى، فوزي. *تجليات الشعرية؛ قراءة في الشعر المعاصر*. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧م.

الغلاييني، مصطفى. *جامع الدروس العربية*. القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

كحوال، محفوظ. *المذاهب الأدبية؛ الكلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية*. القسنطينية: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

لماجدى، خزعل. *ميثولوجيا الخلود؛ دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة*. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

مبروك، أمل. *فلسفة الموت*، بيروت: مؤسسة ديموبرس للطباعة والتجارة، ٢٠١١م.

مصطفى، محمود. *أهدى سبيل إلى علمي الخليل؛ العروض والقافية*. تحقيق: سعيد محمد اللحام، د.ت.

المكتبة الشاملة؛ مناهج جامعة المدينة العالمية. *الأدب المقارن*. المدينة: جامعة المدينة العالمية.

منصور، محمد منير. *الموت والمغامرة الروحية؛ من الأسطورة إلى عالم الروح الحديث*. دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

الموقع الإلكتروني : http://www.achamalpress.com/archives/58597.

نشاوي، نسيب. *مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية؛ الاتباعية – الرومانسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية* - . القسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

النعماني، عبد العزيز. *رحلة أبي القاسم الشابي؛ رحلة طائر في دنيا الشعر*. القاهرة: الدار المصرية

اللبنانية، ١٩٩٧م.

النقاش، رجاء. *أبو القاسم الشابي؛ شاعر الحب والثورة*. القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، د.ت.

نيوف، نوفل. *نظرية الرومانسية في الغرب*. د.م.: التلوين لتأليف الترجمة والنشر، ٢٠٠٧م.

الهادي، أحمد محمد عبد. *ديوان أبي القاسم الشابي*. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٤م.

هلال، محمد غنيمي. *الرومانتيكية*. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

وهبة، مجدي. *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. بيروت: مكتبة رياض الصلح، ط٢، ١٩٨٤م.

Vol 17 No 1 1441 H/2020 M

Al-Zahra'

Journal for Islamic and Arabic Studies

A refereed academic twice yearly journal concerning with Islamic and Arabic studies
published by Faculty of Dirasat Islamiya
Syarif Hidayatullah State Islamic University (UIN) Jakarta

in this issue:

- Maqasid-based Perspective and Its Impact on Directing Laws of Jurisprudence on Family by Malikite School
- Argumentation and Persuasion Strategies in The Qur'an (The Story of Noah PBUH)
- Systematic Renewal in The Study of Hadith Terminology and Its Prospects
- Elaboration and Use of Communication Media in Teaching and Learning The Arabic Language for Foreigners
- Ahmad Sanusi Sukabumi's Efforts in Straightening The Concept of Absolute Water Opposing The Other Pesantren Leaders
- Romantic Philosophy in The Poem of The "Hadith al-Maqbarah" by Abu al-Qasim al-Shabi
- New Media in Facing The Challenges of Cyber Terrorism